

ملاحظات حول:

بحث "أدوات التقريب المواكب"

للدكتور عفيف دمشقية

يقام : عبد العزيز بن عبد الله

« الزاموز » المشترك ٢ وتصميم نشرها في الوطن العربي لمعالجة ظاهرتين لغويتين يطلق عليهما علماء اللسانيات الاجتماعية اسم (الازدواجية) . وهاتان الظاهرتان هما أولا : تعايش اللغة العربية الفصحى في كل قطر مع لغة عربية عامية بصورة تكاملية أي أن لكل منهما استخداماتها الخاصة في المجتمع اللغوي .

وثانيا : تعدد الغايات في الوطن العربي . ونحن نتفق مع الباحث الفاضل في كثير من الوسائل التي ذكرها في سبيل تفهيم اللغة الفصحى المشتركة في الوطن العربي « تسهلا لتواصل أفراد الأمة العربية فيما بينهم ، وشحذا لاهتمامهم بالانتماء والولاء لمجتمع لغوي واحد ، لأنه أمكن أشكال المجتمعات » كما يؤكد الباحث . ولنا ملاحظات نسوقها هنا .

أولا ، نطرح دائما إلى ارتكاز المقالات على بحث تجريبي موضوعية أو دراسات احتمالية واضحة؛ لكن تكون نتائج هذه المقالات أقرب إلى الصواب وتوصياتها أكثر فائدة ، لا أن تقدم نظرات عامة بعضها جرب وضخ وبعضها لم يجرب . فغندما نتحدث مثلا عن اللغة التي تستخدمها الأذاعات العربية . لا

لقد استخدم الدكتور دمشقية في بحثه القيم مصطلح (التعريب) للدلالة على مفهوم لم نعهده من قبل ولم يتواضع عليه الغرب في استعمالهم اللغوية منطوقة أو مكتوبة ، فلقد حضرنا لمصطلح (التعريب) دلالات أربع : أولاها ، ما يستعمله المصطلحيون حين يتحدثون عن اللفظ (المعرب) أي اللفظ الأجنبي المنقول إلى العربية بلفظه ومعناه دون شكله المكتوب ، وثانيها ، ما يظهر أحيانا في الكتب المترجمة من استعمال كلمة (التعريب) كمرادف لكلمة (ترجمة) . فيقال الكتاب الأجنبي من تعريب الأستاذ فلان ، وثالثها ، استخدام اللغة العربية في الإدارة والتعليم في قطر بدلا من لغة أجنبية كما هو الحال في تعريب الدواوين أيام الخليفة عبد الملك بن مروان وما تأمل أن يتحقق في القريب العاجل في بعض الاقطار العربية ، ورابعها تعريب الأسماء والقبائل أي جعل استخدام اللغة العربية وسيلة تواصل حضاري ونساق .

أما الدكتور دمشقية فنستشف من عنوان بحثه ومضمونه أنه استخدم (التعريب) للدلالة على تنشيط لغة عربية فصحى مشتركة (أو ما أسماه بـ

نستطيع أن نجزم بأن « معظم برامجها بالنصحي » ما لم نتم بدراسة احصائية لهذه البرامج والمدة التي يستخدمها كل برنامج . فقد وجد باحث آخر قام بمثل هذه الدراسة الاحصائية ان « معظم برامج الاذاعات في ثلاثة اقطار عربية تستخدم العامية بدلا من الفصحى » (1) فهي كثيرا ما تستخدم العامية في الاغانى والبرامج المهنية للفلاحين والعمال ، والمسرحيات والتسجيلات الاذاعية ، والبرامج الفولكلورية . ويكاد يقتصر استعمال الفصحى على البرامج الدينية والنشرات الاخبارية ، والتعليقات السياسية .

ثانيا ، عندما نتحدث عن تيسير اللغة النصحي في السينما والمسرح لتكون قريبة من افهام عامة الناس ليتفاعلوا معها بيسر ، ينبغي أن لا يغيب عن اذهاننا التمييز بين نوعين من القدرة اللغوية (2) لدى الناطقين باللغة هما : القدرة الاستيعابية والقدرة التعبيرية ، وتشير القدرة الاولى الى قابلية الناطقين باللغة رغم ضعف مستواهم الثقافي بل أمتهم أحيانا لفهم اللغة منطوقة أو مكتوبة ولو بصورة اجمالية ، اما القدرة التعبيرية فهي قابلية الناطقين باللغة للتعبير بتلك اللغة شفها أو تحريرا . وقد تختلف القدرة الاستيعابية عن القدرة التعبيرية لدى الفرد الواحد . وبصورة عامة يتفق الباحثون على ان عامة الناس في الوطن العربي يتفهمون على قدر استيعابية للغة العربية النصحي على الرغم من عدم تمكنهم من التعبير بها بصورة صحيحة أو طليقة ، وذلك راجع الى أن متطلبات القدرة التعبيرية أكثر وأصعب من متطلبات القدرة الاستيعابية ، وإلى وجود مناطق التقاء واتفاق تتفاوت كما وكيفا من لهجة الى أخرى بين الفصحى والعامية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية . ولهذا كله ننحن لا حاجة بنا الى تحليل مشاق تبسيط اللغة النصحي ومخاطره ، لان لغاية الناس القدرة على فهم اللغة النصحي المعاصرة . فالرجل العادي المغربي يستمع مثلا الى إذاعة القاهرة ويفهم مجمل الكلام وفحواه . ونحن لا نحبذ الارتكاز على التيار الشعبي الجهوى في التعبير عن مفهوم بلغة مبسطة بدعى الواقعية ، فهذا معناه دعم الاشتراكية في اللهجات ،

وانما نقر بوجود واقعية اقلية وواقعية مشتركة ، ونذعو الى الارتفاع من الواقعية الاقلية الى الواقعية المشتركة انطلاقا من بساطة المصطلح دون تعقيد الجانب الغنى زيادة عن الحد الطبيعي المشترك .

ثالثا ، عندما نتحدث عن تيسير العربية النصحي ، ينبغي أن نقترح خطة عمل واضحة تتبناها المجمع اللغوية العربية ويطبقها الكتاب والمؤلفون ورجال الاعلام . وفي نظرنا أن عناصر الخطة المقترحة تتركز على أسس ثلاثة هي :

- (1) الاقتصاد على استعمال ما هو نصيح مفهوم في عومه أو اجماله من طرف الشعوب العربية .
- (2) عدم استعمال ما له طابع اقليمي عميق .
- (3) احياء كل كلمة عامية لها أصل نصيح والعمل على تميمها قويا .

رابعا ، لا شك ان الاطفال يشكلون اجيال المستقبل الذين يستخدمون اللغة العربية الفصحى أساس وحدثنا العربية وركنها المكين . وينبغي ألا يغيب عن اذهاننا ان مشكل تلقين الاطفال بلغة فصحة مشتركة هي مسألة ذات علاقة بتوحيد المصطلح الحضارى العربى وهو في شقها الاكبر مسألة محلولة تلقائيا عن طريق توحيد المؤسسات المختصة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمصطلح الحضارى ، مثال ذلك توحيد المصطلحات في خصوص الانسان وعلم الحساب ودروس الاشياء التى تنتقى منها المصطلحات العلمية في المستوى الابتدائى ، وكذلك المستوى الثانوى . والمفهوم الحضارى هنا ينصب على غالب المصطلحات التى تشكل القاموس الاساسى للطفل في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية . يبقى عنصر محدود له تقنية ادق لا يدخل في صلب المستويين الابتدائى والثانوى وانما يبدأ مع التعليم العالى اى مع التخصص وهذا العنصر لا علاقة له بموضوع ادب الاطفال .

وخاتما لا يسعنى الا ان أشيد ببحث الاستاذ الدكتور عفيف دمشقية لسلسلة عرضه ووضوح افكاره ومساهمته الايجابية في حركة تميم اللغة الفصحى المشتركة في جميع انحاء الوطن العربى .